العدد 3666 - السنة الثالثة عشرة
الأحد 17 رمضان 1441 - الموافق 10 مايو 2020
Sunday 10 May 2020 - No.3666 - 13 th Year

# الدعوة السرية نبوغ أمني للنبي وأصحابه

استمر النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته السرية، يستقطب عددا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه، وخاصة الذين يتمكن من ضمهم في سرية تامة، بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول صلى الله عليه وسلم لتوسيع دائرة الدعوة في نطاق السرية، وهذه المرحلة العصيبة من حياة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ظهرت فيها الصعوبة والمشقة، في تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه بالدعوة، فهم لا يخاطبون إلا من يأمنوا من شره، ويثقون به، وهذا يعني أن الدعوة خطواتها بطيئة وحذرة، كما تقتضي صعوبة المواظبة على تلقي مطالب الدعوة من مصدرها، وصعوبة تنفيذها، إذا كان الداخل في هذا الدين ملزمًا منذ البداية بالصلاة، ودراسة ما تيسر من القرآن -مثلا- ولم يكن يستطيع أن يصلي بين ظهراني قومه، ولا أن يقرأ القرآن، فكان المسلمون يتخفون في الشعاب والأودية إذا أرادوا الصلاة.

## الحس الأمني

إن من معالم هذه المرحلة، الكتمان والسرية حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة، وكان صلى الله عليه وسلم يكوّن من بعض المسلمين أسرًا (مجموعات) وكانت هذه الأسر تختفي اختفاء استعداد وتدريب، لا اختفاء جبن وهروب حسب ما تقتضيه التدبيرات، فبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام ينظم أصحابه من أسر ومجموعات صغيرة، فكان الرجل يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما، عند الرجل به قوة وسعة من المال، فيكونان معه ويصيبان منه فضل طعامه، ويجعل منهم حلقات، فمن حفظ شيئا من القرآن علم من لم يحفظ، فيكون من هذه الجماعات أسر أخوة، وحلقات تعليم.

إن المنهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية أتباعه هو: القرآن الكريم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه تربية شاملة في العقائد والعبادات والأخلاق والحس الأمني وغيرها؛ ولذلك نجد في القرآن الكريم آيات كريمة تحدثت عن الأخذ بالحس الأمني؛ لأن من أهم عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الحس الأمني في جميع أفرادها، وخصوصا في الصف المنظم الذي يدافع عن الإسلام، ويسعى لتمكينه في دنيا الناس، ولذلك نجد النواة الأولى للتربية الأمنية كانت في مكة، وتوسعت مع توسع الدعوة ووصولها إلى دولة.

ولا شك في أن الصحابة كانوا يجمعون المعلومات عمن يريدون دعوته للإسلام وكانت القيادة تشرف على ذلك، ولذلك قام النبي صلى الله عليه وسلم بترتيب جهاز أمني رفيع يشرف على الاتصال المنظم بين القيادة والقواعد ليضمن تحقيق مبدأ السرية.

إن السيرة النبوية غنية في أبعادها الأمنية، منذ تربية الأفراد، وحتى بعد قيام الدولة، وتظهر الحاجة للحركات الإسلامية والدول المسلمة، لإيجاد أجهزة أمنية متطورة (في زمننا المعاصر) تحمي الإسلام والمسلمين من أعدائها اليهود والنصارى والملاحدة، وتعمل على حماية الصف المسلم في الداخل من اختراقات الأعداء فيه، وتجتهد لرصد أعمال المعارضين والمحاربين للإسلام، حتى تستفيد القيادة من المعلومات التي تقدمها لها أجهزتها المؤمنة الأمنية، ولابد أن تؤسس هذه الأجهزة على قواعد منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية، وتكون أخلاق رجالها قمة رفيعة تمثل صفات رجال الأمن المسلمين.

إن اهتمام المسلمين بهذا الأمر يجنبهم المفاجآت العدوانية «إذا عرفت العدو وعرفت نفسك، فليس هناك ما يدعوك إلى أن تخاف نتائج مئة معركة، وإذا عرفت نفسك، ولم تعرف العدو فإنك ستواجه الهزيمة في كل معركة».

كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرف بنفسه على تربية أصحابه في كافة الجوانب، ووزعهم في أسر، فمثلا كانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، كانوا في أسرة واحدة مع نعيم بن عبدالله النحام بن عدي، وكان معلمهم خباب بن الأرت، وكان اشتغالهم بالقرآن لا يقتصرون منه على تجويد تلاوته وضبط مخارج حروفه ولا على الاستكثار من سرده، والإسراع في قراءته، بل كان همهم دراسته وفهمه، ومعرفة أمره ونهيه والعمل به.

# مواقف من حياة الرسول

### «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»

كان ثعلبة بن عبدالرحمن رضي الله عنه، يخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- في جميع شؤونه وذات يوم بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حاجة له، فمر بباب رجل من الأنصار فرأى امرأة تغتسل وأطال النظر إليها.

ثم بعد ذلك أخذته الرهبة وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما صنع، فلم يعد إلى النبي ودخل جبالا بين مكة والمدينة، ومكث فيها قرابة أربعين يوما، وبعد ذلك نزل جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك: ان رجلا من أمتك بين حفرة في الجبال متعوذ بي، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب وسلمان الفارسي: انطلقا فأتياني بثعلبة بن عبدالرحمن فليس المقصود غيره فخرج الاثنان من أنقاب المدينة فلقيا راعيا من رعاة المدينة يقال له زقافة، فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال يقال له ثعلبة؟

فقال لعلك تريد الهارب من جهنم؟ فقال عمر: وما علمك أنه هارب من جهنم قال لأنه كان اذا جاء جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال واضعا يده على أم رأسه وهو ينادي يا ليتك قبضت روحي في الأرواح.. وجسدي في الأجساد.. ولم تجددني لفصل القضاء فقال عمر: اياه نريد فانطلق بهما فلما رآه عمر غدا اليه واحتضنه فقال: يا عمر هل علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذنبي؟ قال لا علم لي الا انه ذكرك بلامس فارسلني انا وسلمان في طلبك. قال يا عمر لا تدخلني عليه الا وهو في الصلاة فابتدر عمر وسلمان الصف في الصلاة فلما سلم النبي عليه الصلاة والسلام قال يا عمر يا سلمان ماذا فعل ثعلبة؟

قال هو ذا يا رسول الله فقام الرسول -صلى الله عليه وسلم- فحركه وانتبه فقال له: ما غيبك عني يا ثعلبة ؟ قال ذنبي يا رسول الله قال أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا؟ قال بلى يا رسول الله قال قل ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال ذنبي أعظم، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: بل كلام الله أعظم، ثم أمره بالانصراف الى منزله فمر من ثعلبة ثمانية أيام ثم أن سلمان أتى رسول الله فقال يا رسول الله هل لك في ثعلبة فانه لما به قد هلك؟ فقال رسول الله فقوموا بنا اليه ودخل عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فوضع راس ثعلبة في حجره لكن سرعان ما أزال ثعلبة رأسه من على حجر النبي فقال له لم أزلت رأسك عن حجري؟ فقال لأنه ملآن بالذنوب، قال رسول الله ما تشتكي؟ قال: مثل دبيب النمل بين عظمي ولحمي وجلدي، قال الرسول الكريم: ما تشتهي؟ قال مغفرة ربي: فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول لك، لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الارض خطايا لقيته بقرابها مغفرة، فأعلمه النبي بذلك فصاح صيحة بعدها مات على ألرها فامر النبي بغسله وكفنه، فلما صلى عليه الرسول عليه الصلاة والسلام جعل يمشي على أطراف أنامله، فلما انتهى الدفن قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: يا رسول الله رأيناك تمشي على أطراف أنامك قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والذي بعثني بالحق نبياً ما قدرت أن أضع قدمي على الارض من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه، كل واحد منا يخطي وله ذنوب يعلمها وذنوب لا يعلمها.

### «ليس المهم أن تكون في النور لترى بل أن يكون النور فيما تراه»

بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- في الطواف اذا سمع اعرابيا يقول: يا كريم فقال النبي خلفه: يا كريم، فمضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال: يا كريم، فقال النبي خلفه: يا كريم، فالتفت الاعرابي الى النبي وقال: يا صبيح الوجه، يا رشيق القد، اتهزأ بي لكوني اعرابيا؟

والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبي محمد --صلى الله عليه واله وسلم-- فتبسم النبي وقال: اما تعرف نبيك يا اخا العرب؟

قال الاعرابي: لا، قال النبي: فما ايمانك به؟ قال: آمنت بنبوته ولم ارد وصدقت برسالته ولم القه، قال النبي: يا أعرابي، اعلم أني نبيك في الدنيا وشفيعك في الاخرة، فأقبل الاعرابي يقبل يد النبي -صلى الله عليه واله وسلم- فقال النبي: مه يا اخا العرب، لا تفعل بي كما تفعل الاعاجم بملوكها، فان الله سبحانه وتعالى، بعثني لا متكبرا ولا متجبرا، بل بعثني بالحق بشيرا ونذيرا، فهبط جبريل على النبي وقال له: يا محمد. السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام، ويقول لك: قل للاعرابي، لا يغرنه حلمنا ولا كرمنا، فغدا نحاسبه على القليل والكثير، والفتيل والقطمير فقال الاعرابي: او يحاسبني ربي يا رسول الله؟، قال: نعم يحاسبك ان شاء، فقال الاعرابي: وعزته وجلاله، ان حاسبني لأحاسبنه، فقال النبي -صلى الله عليه واله وسلم-: وعلى ماذا تحاسب ربك يا اخا العرب؟

قال الاعرابي: ان حاسبني ربي على ذنبي حاسبته على مغفرته، وان حاسبني على معصيتي حاسبته على عفوه، وان حاسبني على بخلي حاسبته على كرمه فبكى النبي حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل على النبي وقال: يا محمد، السلام يقرئك السلام، ويقول لك: يا محمد قل من بكائك فقد الهبت حملة العرش عن تسبيحهم وقل لأخيك الاعرابي لا يحاسبنا ولا نحاسبه فانه رفيقك في الجنة.

## استشارات للصائمين

• كيف نتجنب سوء الهضم؟

– يجب تصغير حجم اللقيمات التي نتناولها ثم يمضغ الطعام جيداً في الفم حيث يحقق ذلك هضماً جزئياً للطعام وبالتالي يخفف العبء الملقى على المعدة في الهضم.

– مغادرة مائدة الطعام دون الوصول إلى مرحلة الشبع الكامل تمنع الإصابة بالإجهاد المعوي.

– ابدأ الوجبة الغذائية بالسوائل مثل: الشوربة (الحساء) التي تهيء المعدة لاستقبال الطعام بتنشيط إفراز عصاراتها الهاضمة.

– تجنب الأغذية معقدة التركيب مثل: المقليات خصوصاً في وجبة الإفطار حيث تكون المعدة في حالة خمول وظيفي.

– تجنب الماء المثلج والمشروبات المثلجة التي تؤدي إلى احتقان المعدة والتشنج وما يتبعها من أعراض سوء الهضم والقيء.

– يجب الاعتدال في استهلاك البهارات والتوابل وخاصة الحريفة لوقاية جدار المعدة والأمعاء ولتجنب الإصابة بالحموضة.

• ما هو تأثير التمر على مرضى السكري؟

– يوجد أنواع عديدة من التمور الجافة ونصف الجافة والطرية والطازجة وكلها غنية في محتواها من السكريات البسيطة مثل الغلوكوز والفركتوز مما يساعد على سرعة امتصاصها في الجسم ونظرا لبطء احتراقها في مريض السكري فان تناول كميات كبيرة منها يرفع مستوى السكر في الدم.

وينصح في مثل هذه الحالات بتناول عدد 2 – 3 تمرات فقط في اليوم.

• ما الأسلوب الأمثل لتغذية الحامل في رمضان؟

– افتى بعض علماء الدين بالرخصة للحامل بالإفطار في شهر رمضان خاصة في الأشهر الأخيرة من الحمل لعدم التأثير على صحة الأم والجنين أثناء الصيام.

ولكن في حالة الصيام يجب على الأم الحامل عند تناول وجبة الإفطار او بين وجبتي السحور والإفطار ان تركز على تناول الخضر والفاكهة الطازجة لتجنب حالات الإمساك مع تناول كميات كافية من اللحوم مثل الدواجن أو اللحوم الحمراء وكذلك منتجات الألبان أو البيض والعصائر الطبيعية بدون مضافات حافظة مع قليل من الزيوت النباتية والنشويات لتجنب زيادة الوزن التي تسبب متاعب عند الوضع.

### مرضى الكبد وكيفية الصيام في رمضان

لا ينصح مريض الكبد من الناحية الغذائية بالصيام نظرا لاعتبار الكبد هو مصنع للمغذيات في الجسم وحالات الإصابة بالفشل الكبدي او الفيروسات الكبدية أو الأمراض الخبيثة تؤثر بصورة مباشرة على الحالة الصحية العامة للجسم ما يستوجب الرعاية الصحية المناسبة.

وتناول الأدوية بالجرعات المحددة وفي مواعيد محددة قد تتعارض مع مواعيد الصوم وينصح في مثل هذه الحالات بإطعام فقير عن كل يوم افطار.

• هل يوجد نظام غذائي في رمضان لمرضى الانيميا؟

– يعاني مريض الانيميا خللا في كرات الدم الحمراء سواء شكل كرات الدم أو عددها أو حجمها او لونها عن الحالة الطبيعية وقد ترجع اسباب ذلك الى اسباب وراثية او الى حالات مرضية او الى اسباب غذائية نتيجة عدم تناول كميات كافية من مصادر البروتين مثل اللحوم والاسماك والدواجن والبقوليات.

او عدم تناول فيتامينات مثل حمض الفوليك الموجود في الخميرة او فيتامين ب12 الموجود في الكبدة او عدم تناول كميات كافية من عنصر الحديد الموجود في اللحوم او العسل الاسود او التمر او وجود مواد في الغذاء تمنع او تعيق امتصاص الحديد في الجسم مثل حمض التانيك الموجود في الشاي الاسود المغلي او حمض الفايتيك الموجود في اغلفة الحبوب مثل قشور الفول او الردة ما يعيق امتصاص الحديد.

وعلى ذلك ينصح لمريض الانيميا الصائم بان يتناول كميات اضافية من الكبدة المشوية او المسلوقة او اللحوم الحمراء وملعقة خميرة بيرة مع كوب من العصير الطبيعي حيث يساعد فيتامين ج الموجود في الموالح والجوافة والفلفل الأخضر على سرعة امتصاص الحديد مع تناول السلطات الخضراء الطازجة والامتناع عن شرب الشاي الاسود المغلي عقب الافطار ويمكن الاكتفاء بكوب شاي خفيف بعد الافطار بساعة على الاقل اذا لزم الامر.

• هل هناك علاج للالتهاب البروستاتا من الأغذية الطبيعية؟

– من الاطعمة التي تساعد في علاج التهاب البروستاتا الثوم والخميرة الجافة والبليلة والجزر الأصفر واللب الأبيض وزيت السمك ومستخلص غلي شوائي الذرة والجنسنغ الصيني.

• هل يجوز أكل الأرز المخصص لمرضى السكري كريجيم ولماذا؟

– أرز الريجيم:

إن كان هناك أرز مخصص لمرضى السكري فذلك يعني انه بطيء الهضم لمواجهة ضعف إفراز الانسولين ولكن إذا كان سعره غاليا فيمكن أثناء الريجيم استخدام الأرز العادي لكن بكميات صغيرة بحجم كوب الزبادي المتوسط في الوجبة وبدون خبز أو معكرونة في نفس الوجبة.

# غرائب الكلمات في تفسير الآيات

### فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها

(سورة الذاريات الآية 29)

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله «فأقبلت امرأته في صرة» قال: في صيحة «فصكت» قال: لطمت.

وأخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه في قوله «في صرة» قال: صيحة «فصكت وجهها» قال: ضربت بيدها على جبهتها وقالت: يا ويلتاه.

قوله تعالى «وأنى لهم التناوش» (الآية 52 من سورة سبأ).

قوله تعالى: «وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد».

أخرج ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه في قوله «وقالوا آمنا به» قال: الله «وأنى لهم التناوش» قال: التناول كذلك «من مكان بعيد» قال: ما كان بين الآخرة والدنيا «وقد كفروا به من قبل» قال: كفروا بالله في الدنيا «ويقذفون بالغيب من مكان بعيد» قال: في الدنيا قولهم هو ساحر، بل هو كاهن، بل هو شاعر، بل هو كذاب.

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه «وأنى لهم التناوش» الرد «من مكان بعيد» قال: من الآخرة الى الدنيا.

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما «وأنى لهم التناوش» قال: كيف لهم الرد «من مكان بعيد» قال: يسألون الرد وليس حين رد.

وأخرج ابن المنذر عن التيمي قال: أتيت ابن عباس قلت: ما التناوش؟ قال: تناول الشيء وليس بحين ذاك.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه «وأنى لهم التناوش» قال: التوبة.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك رضي الله عنه مثله.

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم رضي الله عنه أنه قرأ «التناؤش» ممدوده مهموزه.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله «ويقذفون بالغيب» قال: يرجمون بالظن أنهم كانوا في الدنيا يكذبون بالآخرة ويقولون: لا بعث، ولا جنة، ولا نار.

### «كأنهم حمر مستنفرة فرة من قسورة»

(سورة المدثر الآية 50 و51)

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ «كأنهم حمر» مثقلة «مستنفرة» بخفض الفاء.

وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عن الحسن وأبي رجاء أنهما قرآ «مستنفرة» يعني بنصب الفاء.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن أبي موسى الأشعري في قوله: «فرت من قسورة» قال: هم الرماة رجال القنص.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: القسورة الرجال الرماة رجال القنص.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس قال: القسورة الأسد. فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب الأسد هم عصبة الرجال.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة «كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة» قال: وحشية فرت من رماتها.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير «فرت من قسورة» قال: القناص.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد «فرت من قسورة» قال: القناص الرماة.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي مالك قال: القسورة الرماة

وأخرج الخطيب في تاريخه عن عطاء بن أبي رباح مثله.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة قال: القسورة النبل.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس «من قسورة» قال: من حبال الصيادين.

وأخرج سفيان بن عيينة في تفسيره وعبدالرزاق وابن المنذر عن ابن عباس «من قسورة» قال: هو ركز الناس يعني أصواتهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «من قسورة» قال: هو بلسان العرب الأسد وبلسان الحبشة قسورة

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن أبي هريرة في قوله: «فرت من قسورة» قال: الأسد.

# الصدق.. أقوى مظاهر الجماعة المسلمة وصك البراءة من النفاق

والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء

إن الله خلق السموات والأرض بالحق، وطلب إلى الناس أن يبنوا حياتهم على الحق، فلا يقولوا إلا حقا ولا يعملوا إلا حقا. وحيرة البشر وشقوتهم، ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح، وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم، أبعدتهم عن الصراط المستقيم، وشردت بهم عن الحقائق التي لابد من التزامها. ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه، وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائما على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات واطراح الريب، فإن الحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب، وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». وقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة». وقد نعى القرآن على أقوام تجريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب فقال: «إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى». وقال: «وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا». والإسلام لاحترامه الشديد للحق طارد الكاذبين، وشدد عليهم بالنكير. عن عائشة أم المؤمنين قالت: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة».

وفي رواية عنها: «ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة، فمايزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة». ولا غرو فلقد كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها، فإذا أساء أحد السيرة وحاول أن ينفرد بمسلك خاطئ، بدا بعمله هذا كالأجرب بين الأصحاء، فلا طيب مقام له بينهم حتى يبرأ من علته.

وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام. أما الكذب والإخلاف، والتدليس والافتراء، فهي أمارات النفاق، وانقطاع الصلة بالدين، أو هي اتصال بالدين على أسلوب المداسين والمقترين! أي على أسلوب الكذابين في مخالفة الواقع.

والكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعية قاهرة. هناك رذائل يصاب بها الإنسان، تشبه الأمراض التي تعرض للبدن، ولا يصح منها إلا بعد علاج طويل، كالخوف الذي يتلعثم به الهيابون، أو الحرص الذي تنقبض به الأيدي. إن بعض الناس إذا جُدّ للجهاد المفروض، تقدم إليه وجلده مقشعر، وإن بعضهم إذا استخرجت منه الزكاة الواجبة، أخذ يعدها وأصابعه ترعش، وهذه الطباع التي تتأثر بالجبن أو بالبخل، غير الطباع التي تقبل على الموت في نزق، وتبعثر المال بغير حساب، وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوساوس الحرص أو الخوف، عندما يوقفون في ميادين التضحية والفداء؟

ولكن لا عذر البتة لمن يتخذون الكذب خلقا ويعيشون به على خديعة الناس. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب». وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم! قيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم! قيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: لا».